

نشأة نظرية النحو الوظيفي في ظل النظريات الوظيفية اللسانية الحديثة

الأستاذ: بن عياش نجيب
جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

ملخص البحث:

يعالج هذا البحث نظرية النحو الوظيفي نشأتها ومبادئها بغية الوصول إلى تحديد موضوعها وأهدافها ومكانتها في النظريات والمناهج اللسانية الحديثة، وقد جذب البحث أنظار اللغويين وتوقف عند أعمال الدارسين وانتفع بقدر كبير اللسانيات الحديثة، وبخاصة الاتجاه الوظيفي وانتهى الأمر إلى أن مباحث نظرية النحو الوظيفي تحقق فهم التراث العربي القديم وتحدّد التعبير والتواصل اللغوي. الكلمات المفتاحية: النحو، اللسانيات، الوظيفي، القضايا، الكفاءة، التفسير، النظرية، البنيوية.

Abstract :

This research treat the theory of functional syntax its origins and principales in order to determinate its subject , objectives and its position in theories and modern linguistic curricula the search attracte the attention of linguists and rest on the works of skolars and much binifit modern linguistics especially functional trend ,it concluded that the study of functional syntax theory achieves to understanding the anancientarab heritage and its determinate the linguistic expression and communication.

مقدمة:

قام اللسانيون بدراسة اللغة من جوانب متعدّدة وفقاً لأغراض متنوعة واهتمامات مختلفة، فنتج عن ذلك ظهور نظريات ومناهج لسانية متباينة كالنظرية البنيوية، النظرية التوليدية التحويلية، النظرية التوزيعية، النظرية الوظيفية ... ، ويرجع هذا الاختلاف بين المدارس اللسانية إلى الاختلاف في المبادئ والأسس والقواعد والمناهج التي ينبغي أن تتحقق في البحث العلمي اللساني، وقد أدى هذا الاختلاف إلى توسيع مجال

الرؤية في الدّرس اللساني، وفتح آفاق جديدة للدراسات اللغوية على مَرِّ العصور، ثم إنّ هذا الاختلاف لم يرسمه اللسانيون بأنفسهم بل فرضته نظريات لسانية متعدّدة تقوم على مبدأ اختيار اللساني للحدود التي تشغل فيها اللسانيات ونظرتها إلى طبيعة العلم، وتحديد نوع المادة اللغوية والوسائل التي تجمع بها المادة والمناهج التي تحلّل بها، وكل هذا يعود مرجعه إلى عامل رئيسي وهو: اختلاف الأسس المنهجية لكل نظرية.

ومهما يكن هذا الاختلاف، فإن ما يعيننا أنّ بعض اللغويين العرب المحدثين طبقوا بعض هذه النظريات على اللغة العربية. حيث حاول ميشال زكرياء وعبد القادر الفاسي الفهري تطبيق النظرية التوليدية التحويلية لـ نوام تشومسكي كما حاول مازن الوعر تطبيق نظرية الدلالة التصنيفية لـ (ولتر كوك) في حين طبق أحمد المتوكل نظرية النحو الوظيفي لـ (سيمون ديك) على اللغة العربية، باعتبارها تهدف إلى دراسة التراث معيدة قراءته وتأويله في ضوء النظريات اللسانية الحديثة.

وستتناول في هذا المقال نشأة نظرية النحو الوظيفي في ظل النظريات الوظيفية اللسانية الحديثة أملاً في أن نقدّم للقارئ العربي نشأة هذه النظرية، مفهوماً، مبادئها، وبعض نماذجها.

1 - نشأة نظرية النحو الوظيفي:

البداية تكون مع الحقبة الزمنية التاريخية لنظرية النحو الوظيفي كنظرية غربية ترجع أصولها الأولى إلى مدينة أمستردام الهولندية والتي أرسى أسسها وقواعدها العالم اللغوي "سيمون ديك"، وذلك من خلال أبحاث متعدّدة كانت بمثابة نقطة وضع بها الإطار العام النظري والمنهجي لهذه النظرية التي عرفت رواجاً كبيراً لدى أتباعه الذين أجروا دراسات متعدّدة طبّقت على مختلف اللغات الهولندية والانجليزية والفرنسية والعربية ... وهذا ما جعلها تأخذ مكانة علمية متميزة بين النظريات اللسانية الحديثة عامة، والنظريات النحوية خاصة.

نظراً لهذا عرفت نظرية النحو الوظيفي رواجاً كبيراً وأقيمت لها محافل دولية أوروبية، وكانت البداية الأولى لهذه النظرية مع مبدئين أساسيين؛ هما:

أولاً: الانتقادات التي وجهه "سيمون ديك" سنة 1968م للتحليل الذي قدّمه النموذج المعيار للبنيات العطفية، وهو انتقاد كشف لنا قصور هذا النموذج في تحليله لبعض أنماط الجمل، لكن تجاوزاً لهذا القصور قدّم ديك سنة 1978م و1989م طرحاً بديلاً

يتمثل في الإجابات على أهم الأسئلة اللغوية المعاصرة، وكذا تقديم تحليل كاف أفرزت نتائج؛ أهمها:

- تتحدد وظيفة اللغة في النحو الوظيفي عن طريق التفاعل الاجتماعي أي التواصل بين أفراد المجتمع البشري.

- يرى النحو الوظيفي أن القدرة لا يمكن تحديدها إلا في إطار تواصلي، في حين أن القدرة التواصلية هي قدرة المتكلم على التفاعل الاجتماعي وإنجاز نسق الاستعمال اللغوي.

- يتم الاكتساب اللغوي عبر سلسلة من الاكتشافات التي يقوم بها الطفل، والتي يهدف من خلالها إلى تأسيس نسق لغته الأم.

- يقوم النحو الوظيفي بدراسة التركيب والدلالة من منظور تداولي.

ثانياً: تتحدد خصائص العبارات اللغوية بالربط بين المفردات أو بين الجمل، وعلى هذا الأساس فإن الوظائف الدلالية، التركيبية والتداولية يمكن مقاربتها انطلاقاً من المقولات الشجرية كالمركب الاسمي أو المركب الفعلي، الذي لا يرد إلا في بعض اللغات، ولهذا أصبح التمثيل التحتي للعبارات اللغوية في هذه المقاربة بنية وظيفية لا ترتب فيها، تنقلها إلى بنية سطحية مرتبة¹.

2- تعريف النحو الوظيفي:

لقد حاولنا من خلال دراستنا لكتب أحمد المتوكل إيجاد تعريف عام وشامل للنحو الوظيفي إلا أننا اكتفينا ببعض التعاريف التي جاء بها بعض الدارسين والباحثين في هذا المجال أمثال الدكتور عبد الرحمان الجندي الذي يرى بأن المتوكل ركز في أبحاثه ودراساته على "إبراز التفاعل القائم بين الخصائص البنوية للعبارات اللغوية والأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها"². يسعى النحو الوظيفي من خلال هذا إلى تحقيق الهدف التواصل، ويقول في موقف آخر أن النحو الوظيفي "يربط بين البنية اللغوية للجمل والظروف المقامية التي تنجز فيها"³.

من خلال هذين التعريفين نجد أن محمد مليطان جمع النحو الوظيفي في جملة واحدة إذ يقول:

"هو نحو يعد خصائص اللسان الطبيعي الصورية التركيبية والصرفية والصوتية مقومات غير مستقلة عن الدلالة والتداول ولا يتم وصفها وتفسيرها إلا بالاجتماع إلى عوامل دلالية وتداولية"⁴. هذا يعني أن النحو الوظيفي لا يكتفي بالخصائص التركيبية

والصرفية والصوتية بل تجاوز ذلك إلى الدلالة والتداول لأنّ الجانب التداولي ما هو إلاّ نتاج علاقة ربط البنية بالمقام الذي أنجزت فيه.

3- المبادئ العامة لنظرية النحو الوظيفي:

تقوم نظرية النحو الوظيفي على مبادئ، ذكرها "المتوكل" في مقدمات مؤلفاته أهمها ما يلي:

3-1 وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية هي التواصل بين المجتمعات البشرية:

بعد النقاش الذي دار - في السبعينات - بين تشومسكي وفلاسفة اللغة العادية ذهب تشومسكي إلى أن وظيفة اللغة هي وظيفة التعبير عن الفكر، أما اللغويون الوظيفيون جمعوا على أن للغة وظيفة أساسية هي وظيفة التواصل واستدلوا على ذلك بما يلي 5:

أ - إن الوظائف الست 6 التي قدّمها رومان جاكبسون ليس شرط أن تُجمع في الخطاب الواحد، بل هي مقيدة بأنماط الخطاب وحسب طبيعته، فمثلاً الوظيفتان الشعرية والميتالغوية تظهران فقط في الخطاب الشعري والخطاب العلمي وهكذا.

ب - إذا ظهرت وظيفة غير الوظيفة التواصلية في نمط خطابي معين يؤدي هذا إلى خرق بعض مميزات الواقع الذي نعيشه؛ فمثلاً الجملة:

- قابلت صديقي في ليلة حمراء.

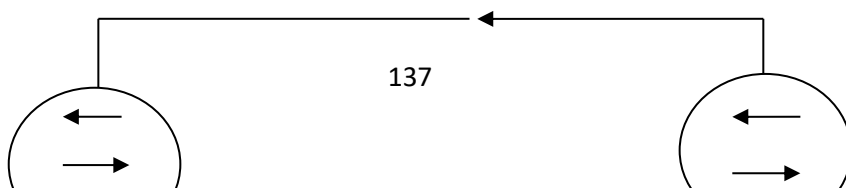
تمّ في هذه الجملة خلق عالم إحصالي غير عالم الواقع، وهو وصف (ليلة حمراء)، كون أن الليلة في الأصل سوداء.

ج - عملية التواصل تقتضي ثلاثة عناصر أساسية: متكلم ومخاطب وخطاب كما يوضحه الرسم الآتي:

متكلم ← خطاب ← مخاطب

يقول المتوكل: "تكون عملية التواصل ناجحة إذا خلا الخطاب من كل ما يمكن أن يحول بين المخاطب وبين تأويله وهو ما يسعى المتكلم في تحقيقه (في حالة التواصل العادي)" 7. وكذلك الخطاب لا يتم إلاّ عن طريق وجود متكلم ومخاطب، والتي تعرف بدارة الكلام التي اعتمدها سوسير في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة"، والممثل لها بالرسم الآتي 8:

وهذه الدارة تتمثل فيما يلي:



نطق	سمع
ص	ت
ص = تصوّر	ص ت
سمع	ص = صورة سمعية
	نطق

د - وظائف اللغة عند هاليدي ثلاث9؛ هي: الوظيفة التمثيلية، الوظيفة التعالقية، الوظيفة النصّية.

هذه الوظائف مستقلة تؤدي كلها إلى وظيفة واحدة هي وظيفة التواصل، لا يتم هذا التواصل إذا اختلّ أحد هذه العناصر الثلاثة، أي هو كلُّ متكامل (كل وظيفة تكمل الأخرى).

هـ - لقد دعم سيمون ديك ما جاء به جاكبسون وهاليدي على أن "التواصل عملية ذات أبعاد مختلفة: بُعد علاقي وبُعد توجيهي وبُعد إخباري وبُعد تعبيرِي وبُعد استثنائي تتكامل كلها لتأدية وظيفة التواصل"10، وهذا التواصل نشاط اجتماعي يتمكّن بواسطته المتكلمين من تبادل معلوماتهما التداولية، وذلك إما بالنظر إلى العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب ويسمى بالتواصل العلاقي، أو بالنظر إلى فحوى الخطاب وهذا التواصل تواصل توجيهي فيكون الفعل المطلوب إما عملاً (تواصل أمري) أو قولاً (تواصل استفهامي) أو الإخبار عن شيء (تواصل إخباري) أو التعبير عن إحساس (تواصل تعبيرِي) أو استثارة إحساس (تواصل استثنائي)11.

3 - 2 - موضوع الدّرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية: انطلاقاً من موضوع البحث اللّساني سنبين التشابه والاختلاف بين تصورين؛ هما: تصوّر اللّغويين الوظيفيين وتصور اللّغويين غير الوظيفيين، فالاتفاق حاصل في وصف ومعرفة المتكلم - السّامع للغة، أمّا الاختلاف يتمثل فيما يلي12:

أ - تصوّر اللّغويين غير الوظيفيين المشغولين في إطار النظرية التوليدية التحويلية التشموسكية، على أنّ القدرة اللّغوية تنحصر في قدرتان: قدرة نحوية وقدرة تداولية، على أساس أنّ القدرة الأولى وحدها يمكن أن تتخذ موضوعاً للدّرس اللّغوي، أمّا القدرة الثانية فهي مستقلّة عن القدرة الأولى.

ب - تصوّر اللّغويين الوظيفيين التداولين ينصُّ على أنَّ موضوع الوصف اللّغوي، يتضمن الجوانب الصورية (الدلالة والصوت والتركيب والصرف) والجوانب الوظيفية التي تتعلق بوظيفة التواصل التي تؤديها اللّغة داخل المجتمع البشري وبعبارة أخرى الرّبط بين الخصائص البنيوية للغة والظروف المقامية التي تنجز فيها، أي يجمع بين القدرة النحوية والقدرة التداولية، في إطار ما يسمى القدرة التواصلية الواحدة.

3-3 اكتساب اللّغة:

يولد الطفل على مجموعة من المبادئ العامة منها مبدأ تبعية القواعد التركيبية للبنية التي يجعله يكتسب لغة القوم الذي يعيش فيه أي قدرة لغويّة ولا يكتفي بهذا بل يتجاوزها إلى القدرة على التواصل مع محيطه الاجتماعي.
نظراً لهذا قسّم المتوكل الكلية اللّغوية إلى نسقين مترابطين؛ هما: نسق اللّغة ونسق الاستعمال¹³.

الأوّل يكتسب فيه الطفل قواعد لغته، أمّا الثاني يحكم استعمال هذه القواعد في مقامات التواصل .

3-4 النحو الوظيفي ونظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظرتداولية أي يدرس التركيب والدلالة في إطار التداول:

ذهب فلاسفة اللّغة العادية واللّغويون والوظيفيون في دراستهم للغات الطبيعية من مبدأ أنَّ الوظيفة التواصلية تحدّد بنية اللّغة، ولتوضيح وجوب ملائمة بنية الأداة لوظيفتها استدللّ (سيمون ديك) بهذا المثال الذي ينص على أنَّ جميع الحضارات الإنسانية واجهت مشكل نقل الماء من مكان إلى مكان، فاضطرت إلى صنع أدوات معينة لحلّ هذا المشكل، وهذه الأدوات هدفها هو حلّ إشكال نقل الماء.
من خلال هذا المثال يمكن القول أنَّ اللّغات الطبيعية باعتبارها وسائل للتواصل، وبالرغم من اختلافها في خصائص معيّنة إلّا أنَّ هذه الخصائص هي التي تمكّنها من تأدية هذه الوظيفة.

لقد اعتبر المتوكل بعض اللّغويين الذين يقرّون ارتباط البنية بالوظيفة فهمهم فهم ساذج؛ لماذا؟ لأنّ مفاد هذا الفهم أنَّ ثمة تلازماً مباشراً بين كلّ غرض تواصلية وكلّ خاصيّة من الخصائص البنيوية، وهذا الخطأ الشائع أدى ببعض الباحثين أمثال (نيومبير) إلى تحدّي بعض الوظيفيين أن يأتوا بتفسير وظيفي لبعض الظواهر اللّغوية، فردّ عليهم (سيمون ديك) على أنَّ "التفسير الوظيفي للظواهر اللّغوية لا يقوم على

فرضية الترابط البسيط بين الصورة والوظيفة، بل يقوم بالعكس من ذلك، على شبكة من المتطلبات والقيود المتفاعلة فيما بينها، والتي تؤول إذا أخذ كل منها على حدة، إلى مبدأ وظيفي "14.

3 - 5 - تعدّ الوظائف الدلالية، التركيبية والتداولية مفاهيم أولى لا وظائف مشتقة من بنى تركيبية محدّدة:

لقد بيّنت الكثير من الدّراسات منها (النحو العلاقي)، أنّ ثمة ظواهر نحوية لا يمكن وصفها إلّا إذا اعتُبرت الوظائف الدلالية - التداولية مفاهيم أولى، في حين أنّ النحو الوظيفي يعتبر هذه الوظائف غير مرتّبة خلّافاً لما هو عند التوليديين ما يسمى بالبنية العميقة، ولتوضيح الفرق بينهما نأخذ الجملة الآتية:

- عمرُ إلّقى ليلي.

هذه الجملة في النحو الوظيفي، تنتج عن تطبيق "قواعد الموقعة" التي تكون فيها البنية الوظيفية غير المرتبة كما هو الحال في البناء الآتي:

مض إلّقى ف (س1 ليلي (س1)) منف فا مح (س2: عمرُ (س2)) متق مف بؤ مقأ.
من خلال هذا نلاحظ أنّ موقع (س1) جاء جاء بعد الفعل (إلّقى)، وموقع (س2) جاء في صدر الجمل على أساس وظيفته التداولية (بؤرة مقابلة).

3- 6 - هدف البحث اللّساني: يهدف البحث اللّغوي إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات؛ وهي: 15:

3- 6- 1 - الكفاية النمطيّة: يسعى مبدأ الكفاية النمطيّة إلى أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللّغات الطبيعية، وذلك بالبحث على القواسم والخصائص المشتركة بين اللّغات الطبيعية، انطلاقاً من خصائصها الدلالية والتداولية، في حين جاءت اللّسانيات التنميطية بمفهوم النمط، مكان مفهوم النحو الكلي المعروف في النحو التوليدي.

ذهب ديك إلى أنّ نظرية النحو الوظيفي يجب "أن تكون قادرة على بناء أنحاء للغات ذات أنماط متباينة، وعلى إبراز ما يؤالف وما يخالف بين هذه اللّغات، وتستوجب الكفاية النمطيّة أن تطوّر النظرية إنطلاقاً من معالجتها لمعطيات مستمدة من عدّة لغات، وأن تختبر انطباقية فرضياتها على معطيات نابغة من لغات أخرى" 16.

هذا يعني وضع قوانين مستمدة من عدّة لغات وجعلها موحّدة وتسقط على جميعها. في حين يذهب المتوكل إلى أنّ نظرية النحو الوظيفي يجب أن تتسم بسمتين - تبدوان متضادتين - في ذات الوقت: وهما: "التجريد" و"الملموسية"، واشترط في النظرية اللّغوية

أن ترقى إلى درجة معقولة من التجريد لتطبق على لغات متباينة نمطياً، وفي نفس الوقت تكون أقرب من الوقائع اللغوية الملموسة، كما تتحقق في أي لغة، فإذا نظرنا إلى الوقائع اللغوية للغات معينة نجد أنه من العسير انطباقها على لغات أخرى، أما إذا كانت موغلة في التجريد تصبح عاجزة عن رصد الوقائع اللغوية كما تتحقق في لغات معينة.

3 - 6 - 2 - الكفاية النفسية: ذهب المتوكل في سعيه إلى تحقيق الكفاية النفسية إلى

اقتراح نماذج نحوية تقوم على حركات الذهن، ولتحقيق هذا يجب 17:

أولاً: أن يصاغ على أساس أن عملية التواصل تقوم على شقين؛ هما:

- شق إنتاج المتكلم للخطاب.

- شق تحليل المخاطب له وتأويله.

مفاد هذا أن إنتاج الخطاب ينطلق من القصد إلى النطق عبر الصياغة؛ أي:

قصد ← صياغة ← نطق

هذا يعني، أن العبارة اللغوية تنتقل من البنية التحتية (التداولية - الدلالية) إلى بنية صرفية - تركيبية، وفي حالة التأويل تعكس العملية.

ثانياً: إقصاء القواعد التي شكك في عدم واقعيتها النفسية كالقواعد التحويلية مثلاً، لأنه لا يطبق أي عملية ذهنية يقوم بها المتكلم حين ينتج الخطاب أو المخاطب الذي يؤولها، أي لا يستجيب لمبدأ الواقعة النفسية.

3 - 6 - 3 - الكفاية التداولية: تتحقق الكفاية التداولية في النحو الوظيفي حسب ديك إذا استطاع أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي، يعني هذا أنه يجب ألا نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة، بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار سياق تحدده العبارات السابقة وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف المخاطب¹⁸.

يفهم من خلال هذا أن التداول يبحث عن كيفية استعمال خصائص العبارات اللغوية ولا يتم هذا إلا عن طريق معرفة العلاقة بين هذه الخصائص والقواعد والمبادئ التي تحكم هذا التواصل اللغوي. هذا يعني أننا لا يمكن لنا التعامل مع العبارات اللغوية بمعزل أو بعزلها عن الأغراض الإبلابية التي تؤديها أثناء تأدية عملية الكلام.

في حين ذهب المتوكل من خلال تعريف ديك للكفاية التداولية إلى أنَّ خصائص العبارات اللُّغويَّة نوعان؛ وهما:

- خصائص ترتبط بسياق الاستعمال.

- خصائص مستقلة عن الاستعمال.

ومن هذه الخصائص نجد: الخصائص الوجيهية والخصائص الإنجازية والوظائف التداولية.

أولاً: تعدُّ العبارات اللُّغويَّة من الوسائل التي يستخدمها المتكلم لتبليغ أغراضه.

ثانياً: لمعرفة الخصائص المرتبطة بالاستعمال يجب معرفة اللُّغة ومعارف أخرى تخصُّ مواقف معيَّنة.

ثالثاً: يتم إنتاج العبارات اللُّغويَّة في إطار خطاب متكامل (حوار، سرد... الخ) 19.

3- 6- 4 - الكفاية الحاسوبية: إنَّ الجيّد والجديد في المجال اللّساني هو بناء حاسوب، يضبط اللُّغة بمولدات جديدة مما يسهل عملية البحث وهو ما تحقق في نظرية النحو الوظيفي، إذ تمَّ برمجته داخل الحاسوب. والبرمجة - حسب المتوكل - يعني تحصيل فائتين أساسيتين: هما: فائدة نظرية وفائدة تطبيقية 20.

الأولى تكمن فائدتها في ضرورة صياغة مبادئها وقواعدها وتمثيلات صياغة تجمع بين الدِّقة والوضوح.

الثانية تكمن فائدتها في إعداد تطبيقات تستفيد منها النظرية كالترجمة (الآنية أو البشرية أو الآلية) مثلاً.

ولتحقيق هاتين الفائدتين شرع مؤسسو النحو الوظيفي في برمجة هذه النظرية في الحاسوب فظهرت عدّة محاولات؛ منها 21:

- كوي سنة (1979) جاء لتزويد الحاسوب اللُّغوي.

- كونوللي سنة (1986) وضع معجم وظيفي محوسب.

- سيمون ديك سنة (1989) وضع نموذج حاسوبي استناداً إلى النحو الوظيفي يفترض فيه "أن يحاكي الإنجاز الفعلي والطبيعي لمستعمل اللُّغة الطبيعية في ظروف تواصلية عادية، كما يحاكي ما يستبطنه من قدرات بطريقة كافية نفسياً وواقعياً" 22.

من خلال هذا جعل ديك النموذج الحاسوبي مرتبط بالحالة النفسية والواقعية للمتكلم والمخاطب، لتحقيق تواصل فعلي، وإذا أردنا التأكد من صحة نظرية ما، يجب علينا وضعها داخل الحاسوب وتطبيق نماذج مختلفة عليها.

4- نماذج النحو الوظيفي:

لقد عرفت نظرية النحو الوظيفي تطوراً من حيث بناء الجهاز الواصف وصياغته وإقامة التواصل، وهذا التطور أفرز نماذج ثلاثة؛ هي 23:

4- 1- نموذج ما قبل المعيار أو النموذج النواة (ديك 1978):

يعدُّ أول نموذج نظرية النحو الوظيفي، خصص لاشتقاق العبارة اللغوية حسب ترتيبها أربعة مكونات هي:

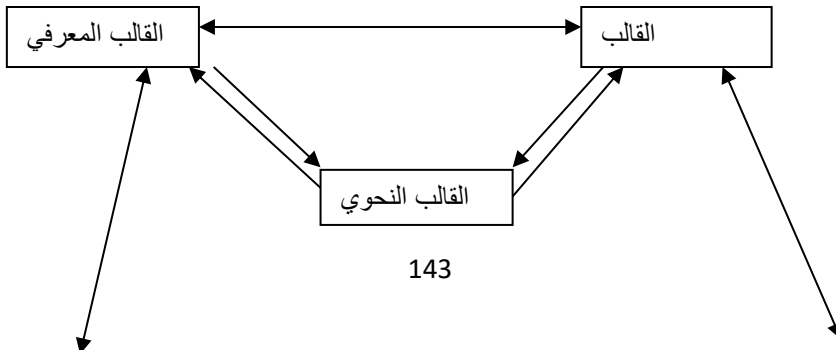
4- 1- 1 - الخزينة: تتكون من عنصرين؛ هما: المعجم الذي يهتم بمفردات الأصول وقواعد التعبير الذي يهتم بمفردات الفروع، من خلال هذين العنصرين تتشكل البنية التحتية وهذه الأخيرة تشكل حملاً.

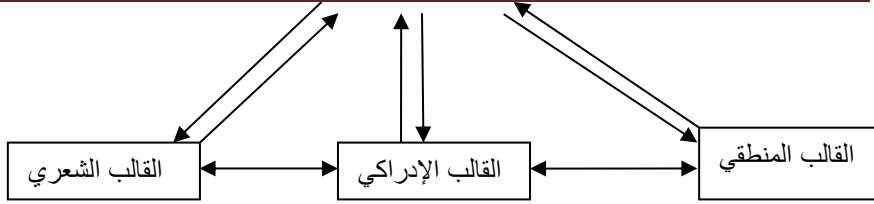
4- 1- 2 - قواعد إسناد الوظائف: ينقل الحمل إلى بنية وظيفية عن طريق إسناد وظيفي الفاعل والمفعول ثم وظيفي المحور والبؤرة.

4- 1- 3 - قواعد التعبير: وهي مجموعة القواعد المسؤولة في تحديد الخصائص الصرفية التركيبية.

4- 1- 4 - قواعد صوتية: تنقل القواعد السابقة بواسطة القواعد الصوتية إلى تأويل صوتي للعبارة اللغوية.

4- 2 - النموذج المعيار (ديك 1989): عرف النحو الوظيفي في النموذج الأول قصوراً كبيراً خاصة فيما يتعلق بموضوع الدرس وتكوين الجهاز الواصف وطبيعة التمثيل التحتي للخصائص الدلالية والتداولية، جاء النموذج المعيار الذي يرى أنّ التواصل لا يتم إلا بواسطة المعرفة اللغوية فحسب بل بواسطة تفاعل هذه المعرفة بمعارف أخرى، على أساس أنّ القدرة التواصلية تتكون من خمس ملكات؛ هي: الملكة المعرفية، المنطقية، الاجتماعية، الإدراكية، اللغوية. وهذه الملكات تمثلها خمس قوالب تتفاعل فيما بينها لتشكل نموذج مستعمل اللغة الطبيعية، أضاف إليها المتوكل ملكة سادسة؛ وهي الملكة الشعريّة. وهذا الشكل يوضّح هذا النموذج 24.





من خلال هذا النموذج يتكفل كل قالب من هذه القوالب بتحديد الوظيفة التي يؤديها؛ وهي 25:

- القلب النحوي: يتكفل بإنتاج العبارات اللغوية وتأويلها، وتتم هذه العملية عبر القوالب الفرعية والمتمثلة في بناء البنية التحتية، ونقلها إلى بنية مكوّنة وتحديد صورتها الصوتية.

- القلب المنطقي: يتكون من خمسة قوالب فرعية؛ هي: قالب الحدود، قالب المحمولات، قالب الحمل، قالب القضايا، القلب الإنجازي، أضاف المتوكل قالب آخر سماه القلب النصي، يقوم بمهمة اشتقاق بنيات تحتية من البنية التحتية المحددة في إطار القلب النحوي عن طريق قواعد استدلال.

- القلب المعرفي: يقوم بتخزين المعارف التي ترد عليه من القوالب الأخرى وتنظيمها لاستعمالها أثناء الحاجة.

- القلب الاجتماعي: يقوم بتحديد الكيفية التي يجب أن يتم بها التواصل بالنظر إلى الخلفيات الاجتماعية التي تكتنفه.

- القلب الإدراكي: يتكفل باشتقاق معارف من المدرك الحسي وتخزينها في القلب المعرفي قصد استعمالها، بهدف إنتاج وتأويل العبارات اللغوية.

- القلب الشعري: يتكفل برصد الملكة الشعرية لدى مستعملي اللغة الطبيعية التي تمكنهم من إنتاج وفهم الخطاب الشعري أو الفني.

وانطلاقاً من هذه الوظائف، قسمت هذه القوالب إلى فئتين 26: قوالب آلات وقوالب مخازن.

الأولى: تضم القلب النحوي والقلب المنطقي والقلب الشعري، مهمتهما إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

الثانية: تضم القلب المعرفي والقلب الإدراكي والقلب الاجتماعي، تقوم بإمداد القوالب الآلات بما تحتاجه من معلومات بحسب نمط الخطاب.

4 - 3 - نموذج نحو الطبقات القالي (المتوكل 2003): ظهر هذا النموذج بعد ثبوت صحة فرضية التماثل البنيوي بين مختلف أقسام الخطاب، والتي أفرزت نتائج مرّت بثلاث مراحل؛ هي:

- أولاً: اقترح رايكوف (1992) بنية تتضمن ثلاث طبقات: تأطيرية، تسويرية، وصفية. وبنية حمل الجملة / المركب الاسمي؛ توضح ذلك.

[[تأطير [تسوير [وصف [رأس [وصف [تسوير [تأطير]]

- ثانياً: توصل المتوكل (2003) إلى توسيع حمل الجملة بإضافة طبقة رابعة وهي السمات الوجهية. كما يفاد من بنية القضية / المركب الاسمي الآتي:

[[وجه [تأطير [تسوير [وصف [رأس [وصف [تسوير [تأطير [وجه]]

- ثالثاً: توصل المتوكل بعد البحث المعمق إلى نص متكامل اصطلاح عليه اسم "بنية الخطاب النموذج"، وبهذا أصبحت بنية الخطاب التحتية تتكون من ثلاث مستويات؛ هي: المستوى البلاغي والمستوى العلاقي والمستوى الدلالي، وكل مستوى من هذه المستويات يتكون من ثلاث طبقات، حيث يتضمن المستوى البلاغي طبقة الفضاء الخطابي، طبقة النمط الخطابي، طبقة الأسلوب الخطابي، ويتضمن المستوى العلاقي طبقة الاسترعاء، طبقة الإنجاز، طبقة الوجه، والمستوى الدلالي يتضمن طبقة تأطيرية، طبقة تسويرية، طبقة وصفية²⁷.

4 - 4 - نموذج نحو الخطاب الوظيفي: لقد أجرى كل من هنخفلد ومكنزي (2008) بعض التعديلات، إذ جاؤوا بما يسمى بالنحو الوظيفي الخطابي، وهو « نحو موجّه خطابياً يستمد مشروعيته من لجوء المتكلم إلى استعمال وحدات أقل من العبارة اللغوية²⁸».

هذا يعني أنّه يهتم بالوحدات الخطابية أيّاً كان شكلها، كلمة أو مركباً أو جملة أو نصّاً أو حوّاً ... وكذلك يقوم بتفسير الأفعال الخطابية من زاوية وظيفية.

في حين أورد المتوكل عرضاً (2005) بيّن فيه أنّ نحو الخطاب الوظيفي يعتمد على أربع مكوّنات؛ هي: المكوّن المفهومي أو المعرفي والمكوّن النحوي والمكوّن الإصاتي والمكوّن السياقي.

يقوم المكوّن المفهومي برصد كل المعارف اللغوية وغير اللغوية المتوافرة لدى منتج الخطاب، ويضطلع المكوّن النحوي بمكوّناته الثلاثة (الصياغة، الصرفي - التركيبي، الفونولوجي)، إلى تحديد المستوى العلاقي (أو التداولي) والمستوى الدلالي (أو التمثيلي) والمستوى البنيوي، ويقوم المكوّن الإصاتي بتحقيق المستوى البنيوي بنطق الخطاب في

شكل عبارة لغوية محققة أي ذو طبيعة مسموعة، وطبيعة غير مسموعة (خطية أو إشارية) إذا كان الخطاب غير منطوق. أمّا المكون السياقي يقوم برصد وتخزين المعلومات المأخوذة من السياق بشقيه المقامي والمقالي، وإمداد المكونات الأخرى بها عند الحاجة، أي يربط بين المكونات الثلاثة الأخرى²⁹.

لقد انطلق نحو الخطاب الوظيفي في إنتاج الفعل الخطابي من المستوى العلاقي الممثل للمعلومات التداولية في مستواه الفونولوجي ثم ينتقل بعد ذلك ليمثل المعلومات التداولية في المستوى التمثيلي.

يفهم من هذا أنّ نحو الخطاب الوظيفي يهتم بتفسير كيفية إنتاج المتكلم للأفعال الخطابية تفسيراً وظيفياً أي ما ينتجه ويتواصل به مع الآخرين.

خاتمة:

وبعد هذه المعالجة حول نشأة ومفهوم ومبادئ نظرية النحو الوظيفي يتضح لنا أنّ هذه النظرية خطت خطوة كبيرة انطلاقاً من النظريات اللسانية الأخرى للخروج بنحو عربي وظيفي يساير روح العصر ويخدم اللغة العربية وقضاياها بكفاءة علمية محكمة.

قائمة الهوامش :

- 1 - ينظر: يحيى يعيتش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، جامعة قسنطينة، رسالة دكتوراه، (مخطوط)، 2006، ص69.
- 2 - طه الجندي، البعد التداولي في النحو الوظيفي، جامعة القاهرة، قسم النحو والصرف والعروض، مجلة كلية دار العلوم الشهرية، عدد 27، ص7.
- 3 - المرجع نفسه، ص7.
- 4 - محمد الحسين مليطان، نظرية النحو الوظيفي (الأسس والنماذج والمفاهيم)، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014، ص144 - 145.
- 5 - ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1989، ص54.
- 6 - الوظائف الست هي: الوظيفة المرجعية، الوظيفة التعبيرية، الوظيفة التأثيرية، الوظيفة الشعرية، الوظيفة اللغوية (يفتح اللام)، الوظيفة الميتالغوية.
- 7 - أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، مكتبة دار الأمان - 4، ساحة المأمونية، الرباط، ط1، 2006، ص28.
- 8) Ferdinand de Saussure, *cours de linguistique générale*, EN. R.G. édition. talantikit Bejaia, 2002, p18.
- 9 - ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، مرجع سبق ذكره، ص55.
- 10 - المرجع نفسه، ص56.
- 11 - ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، مرجع سبق ذكره، ص21.
- 12 - ينظر: نعيمة الزهري، التعجب في اللغة العربية (من الفكر اللغوي العربي القديم إلى النحو الوظيفي)، الرباط، المغرب، ط1، 2014، ص136.

- 13- ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، مرجع سبق ذكره، ص 35 - 36
- 14 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، مرجع سبق ذكره، ص 60.
- 15 - ينظر: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1986، ص 26.
- 16 - نعيمة الزمري، التعجب في اللغة العربية (من الفكر اللغوي العربي القديم إلى النحو الوظيفي)، مرجع سبق ذكره، ص 141 - 142.
- 17 - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، دار الأمان، الرباط، ط 1، 1995، ص 20.
- 18 - أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، مرجع سبق ذكره، ص 64.
- 19 - ينظر: المرجع نفسه، ص 65.
- 20 - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، مرجع سبق ذكره، ص 56 - 57.
- 21 - ينظر: المرجع نفسه، ص 57.
- 22 - نعيمة الزمري: التعجب في اللغة العربية (من الفكر اللغوي العربي القديم إلى النحو الوظيفي)، مرجع سبق ذكره، ص 143.
- 23 - ينظر: أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)، مكتبة دار الأمان، المغرب، ط1، 2005، ص 54 - 55.
- 24 - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، مرجع سبق ذكره، ص 22 - 23.
- 25 - ينظر: عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي (مقاربة لسانية وظيفية)، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2012، ص 101.
- 26 - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، مرجع سبق ذكره، ص 30.
- 27 - ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، مرجع سبق ذكره، ص 77 - 81
- 28 - ينظر: عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي (مقاربة لسانية وظيفية)، مرجع سبق ذكره، ص 126.
- 29 - ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والامتداد)، مرجع سبق ذكره، ص 83 - 86.